المشرق

أثر عربي نفيس

نشرهُ حضرة الاب انستاس الكرملي

نوطة

مما افادنا نشر القانون الدستوري الاخير ما بشّرت بهِ جرائد الاستانة من فتح خزائن الكتب الخطيّة التي كانت مصونة في جوامع دار السعادة لا ينتفع من كنوزها الّا بعض الافراد لصعوبة الوصول اليها. وهي امنيّة طالما تاق اليها الادباء واخذت جمعية الاتحاد والترقي في تحقيقها فعلًا. فيا ليت كل هذه المكاتب المتفرّقة تُجمع في دار واسعة وتُنظَّم على مثال الدور الكتبيّة في الحواضر الاوروبيّة وتصطنع لها القوائم المضبوطة وتُقام لها السُّدّال الامناء لخدمة طلبة العلم فتزيد بذلك اسواق الآداب رواجًا وترقى البلاد في معارج المدنية والتقدُّم

ومما توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي الى اكتشافهِ في باحتهِ الاخيرة الى حاضرة السلطنة في اواخر تشرين الاوّل من السنة الجارية كتاب نفيس في الزهد هذا عنوانهُ: « كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال. لقطب أئمة اليقين وحجّة محجّة المؤمنين وعمدة الدين المكين وسيّد ائمّة المتقدّمين والمتأخرين وسند المتنسّكين والمتزهدين الوَرع التقي الناجي اللّسين في الدنيا والدين ابي الخير نمر بن جابر المشكال بن عائد بن جاهل بن فانك بن عدي بن عمار الطائي رحمهُ الله وجعل الجنّة مأواه واجزل ثوابهُ مولاه »

اما مؤلف الكتاب فقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من التواريخ المطبوعة والمخطوطة فلم نجد لهُ ذكرًا الّا انهُ يستفاد من حاشية للناسخ في آخر الكتاب انهُ « ولد في السنة الاولى من المنتصف الثاني من المائة الثانية من هجرة النبي صلعم في ارض الشراة » وانهُ « دخل بلادًا كثيرة من ديار الشام ولاسيّما غزّة ولُدّ وعكّا وحيفا وجبل الكرمل والقدس الشريف والاردن وما جاورهُ » وانهُ اجتمع بالنصارى ورهباتهم « وكان يُحسن اللغة الرومية حتى انهُ كان يتكلّم بها كانهُ واحد من ابنائها وكان ايضًا قد تعلّم شيئًا من اللغة الجرمقانية. . . وكان جدُّهُ عائدٌ نصرانيًا ثم اسلم تقرُّبًا من الامويين. ولمّا دخل في السنة الخمسين من عمرهِ اعتزل الناس في جوار دمشق الفيحاء وبعد ان كتب هذا السفر الجليل بيدهِ الكريمة اهداهُ الى الجامع الاموي تبرُّكًا

وتناولًا وتوفّاهُ الله في خلوته في السنة الاخيرة من الربع الاوّل من المائة الثالثة من الهجرة النبوية وعمرهُ خمس وسبعون سنة »

واسم ناسخ الكتاب الذي اتانا بهذه الفرائد « عبد الله بن احمد بن محمّد بن حامد بن جواد ابن مطر النعماني » ذكر انهُ نسخ الكتاب في السنة العاشرة لوفاة المؤلف

والكتاب عبارة عن ٢٥٠ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطرًا دقيقًا ل . ش

وهذه خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو وحدهُ الهادي الحكيم العليم

(١) الحمد لله الذي جعل الحقّ عَلَمًا يهتدي بهِ كلُّ سالك سامر . من هادٍ ومهدٍ ومستهدٍ . واقام الزهد غرضًا يؤمّهُ كل ناجٍ حاضر . بل كل بادٍ ومُتبدٍ ومستبدٍ . الذي يهدي بنورهِ من يشاء . ويُضلّ من يشاء . وما يهدي ربُّك الّا بذاك النور الذي لا يعرف شروقًا ولا غروبًا ولا صباحًا ولا عشاء . فسبحانهُ من إلهٍ ينجي المؤمنين بما يبثهُ في بواطن الصدور . ويهلك الضالّين بما يمسكهُ عليهم من فيض حوض آلائهِ الشكور . نحمدهُ حمدًا لا يعرف الملل . ولا ينالهُ الكلل . على ما آتى نبيّنا ضلعهم من المنّ العظيم . والفضل العميم . اذ جعلهُ خاتم الانبياء . واتمّ الاولياء . وانطقهُ بالكلم الجوامع اللوامع . والحجج الدواقع القوامع

وبلي هذه الخاتمة كلام جميل للمؤلف يذكر فيهِ ما صار اليهِ اهل عصرهِ من الآراء والبدع والتمزّق والتشتّت فبحث لها اعلّ من الاجسام عمّا يشفي ما بها من الادواء والاسقام فوجد ان تلك العلل

« ترجع في المآب . الى حبّ الدنيا وما يتلألأ فيها من الآل والسراب . والطمع في جمع حطامها . بل عظامها ورغامها . والتفاخر بما فيها من الجواذب الكواذب . والخوادع القواذع . وبيّنت ان احسن دواء . لهذا الداء العياء . ان يُحارب العدوّ بعدوّهِ . محاربةَ عشاء النهار لغُدُوّهِ . وان هذا الدواء هو الزهد في الدنيا . واعتبار كل ما فيها في دركات الوجود الدنيا . فيكون في احتقارهِ الفوز والحياة والنجاة . وفي اعتبارهِ

العوز والملمات والمهولة . ولهذا سميت كتابي كتاب العروج في درج الكمال . والخروج من درك الضلال . واظن ان الاسم يطابق المسمّى . ومن يطلع على كتابي باسره لا يرى الّا الحقّ ولا يعثر فيه على شيء من المعمّى

« وهذا الزهد واجب الإدخال . في مثل هذه الاحوال . وبدونه لا يتمّ شيء . بل يزداد الغيّ . كيف لا وقد وقع مثل هذا الواقع الجليل . في عهد قوم اسرئيل . ومثله في اوّل الايام . من عهد عيسى عليه السلام . فأصلح هذا الفتق . او هذا الشق . بهذا الرّتق . او على هذا الوجه من الحقّ »

الى ان قال في خاتمة مقدّمته :

كتبتُ هذا السِفر وقسمته الى ستّ قلاع . وبنيتُ في كل قلعة اربعة أبراج منيع . وبثثتُ ما تحصّن في كل قلعة من الضلال . وما يجب ان يُذخر في كلّ برج من ابراجه ابراج القتال . لنسف ما جاوره من تلك المصانع بل تلك الجبال . القائمة كلها على حرف الفناء والزوال . ثم ختمتُ كل هذه الابواب . بذيل هو خاتمة الكتاب . بل لبّ اللباب . وذكرتُ فيه تاريخ الزهد في سابق الاحقاب . تأييدًا لما اوردتهُ في تلافيف تأليفي . واثباتًا لما سردتهُ في تضاعيف تصنيفي . وكلهُ طبقًا لما شاهدتهُ مشاهدة عيان . او سمعتهُ سماع الآذان . او اكتسبتهُ اكتسابًا من بعض الرهبان . او تلقيتهُ تلقيًا عن اهل التُقى والايمان . وكفى لي بهذا البيان شاهدًا على ما في النيّة والجنان . فاقول وما اتكالي الّا عليه وهو الرحيم الرحمان . . .

وهذا هو الذيل الذي اشار اليه المؤلف في كتابه وهو جدير بأن يُرقم كلهُ باحرف ذهبيّة

ذيل الكتاب . وهو خلاصة جميع الأبواب

(الصفحة 239) الموسوم بلُبّ اللباب

ان الزهد في الدنيا قديم العهد بين الناس وهو ينشأ في كل آدمي عاقل حكيم بصير بموارد الامور ومصادرها ومصايرها . لان الحكيم المتوقد الفؤاد اذا ما اعتبر أنّ كل ما في هذا الكون زائل او على وشك الزوال لا يعود قلبهُ يعلق به اذ لا بُدَّ لهُ من مفارقته اياهُ فيبدأ من ذاك الحين ان يُخرج من قلبه ما لا بُدَّ ان يخرج منهُ يومًا

خلوًا بدون اجر او ثواب. فيكسب بهذه المنقبة اعظم الفضل يوم الحساب. هذا اصل الزهد على ما اراهُ وهو اقرب الى الصواب

(240) واني لأتصور ان اوّل من زهد في الدنيا هابيل القتيل. ثم ادريس النبي الجليل. ثم جاءت بعدهما طوائف لا تحصى من كل قبيل. فيهم الصلحاء. والعبّاد. والنسّاك والزهّاد. في جميع بلاد الله من سهل ووادٍ وجبل. وفي جميع الاديان والفِرَق والملل. الّا ان الذي شاع ذكرهُ في الآفاق. وذاع امرهُ بين اهل الوفاق والشقاق. هو اوّل الأبدال. ومن يأتي من بعدهِ على تتالي الاجيال. مختذيًا ذلك المثال. نبي الله العظيم. الخضر الياس الحيّ عليهِ الصلاة والسلام. والناس تلفظ اسمهُ كانهُ معرّف بأل وتنبر الف القلب وتتوهم ان الوت اقرّ لهُ بالياس من اخذ روحهِ فسُمّي «اليأس». ومنهم من يدعي ان «الياس» مقلوب «الآس» وهو نبات لا يزال غضّ الخضرة وسُمّي هذا النبي صلعم باسمهِ لاخضرار عودِ حياتهِ. واعتدال طول قناتهِ. بدون ان يفعل عليهِ البلى ادنى فعل. ومن العلماء الاية من يذهب الى ان اللفظة عبريّة الاصل لا يُعرف معناها على التحقيق (١. والله اعلم بالصواب

هذا وكان الخضرُ اول من ذكرهُ التنزيل العزيز انهُ اعتزل الخلق واختلى. فصام وصلّى. وطوى ايامهُ قانتًا يعبد ربّهُ ومولاهُ. موحّدًا اياهُ. لا يعرف آخر سواهُ. فلمّا اشتهر امرهُ بين سكّان تلك الديار. اقبل اليهِ جماعة من قوم اسرئيل يتلمذون لهُ ويتلقّنَ عنهُ اصول الاعتكاف والاعتزال. واقامة شعائر الدين المبين. حتى اصبح عددهم عديدًا. وامرهم مذكورًا. ولما ارتفع الخضر الى اعلى العنان الى حيث لا يُدرى قام خلفًا لهُ البديل الثاني وهو اليَسَع (٢. ولاُمهُ ليست بلام المهدة على الارجح لا بل على الاصحّ. وانّما هي اصليّة عبرية غير عابرة ولا غابرة. بخلاف ما ذهب اليهِ العوام (241) من هذه اللام. اذ يعتبرونها زائدة زائلة وان اصل الاسم هو «يَسَع». ولما كان هذان النبيّان من اعظم الانبياء. ومقدّمي الأبدال الاجلّاء. نُحت لهما تمثالان من الحجارة ورُضعا في بيت الله وَضَعهما لهما رهبان النصارى قبل الاسلام بكثير (٣. والذين اقاموهما

١) اللفظة مركّبة من كلمتين عبرانيّتين معناها الله هو الله

٢) كذا يدعو العرب النبي البشاع ٣) راجع ما كتبهُ الازرقيّ في تاريخهِ اخبار مكّة (ص ١١٠) عن وجود صور الانبياء والملائكة في الكعبة قبل الاسلام

لما كانوا من محبي الخضر وثنيانه اليسع وكانوا قد انتشروا في السابق في جزيرة العرب من جهة طور سينا والشراة الى مكّة شرفها الله

وما زال هؤلاء العبـاد مشهورين في بني اسرئيل متعاقبين متتالين حتى اتّصلوا بنا لعهدنا هذا او نحن اتّصلنا بهم وهم اليوم على دين عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام. والخلف ينقل عن السلف كل ما كان من جوهر الدين ونشوء هـذا الصراط الصراط المبين. والأبدال لا ينقطع وجودهم البتـة من الارض لاحتياج اهلها اليهم وان كان اهلها يجهلون هذا الامر وذلك بتدبير منهُ تعالى وبتقدير حكمتهِ الواسعة على حدّ احتياج الارض للماء او الارض لنور السماء.

ولمّا كنتُ قد اختلفت الى اولئك الاقوام الصالحين المتأنهين. مدّة عدّة سنين. وتفقدت ما في تلك الديار. من عجيب الآثار. وسمعتُ اشياء تفيد القارئ ولو كان من شرّ الاشرار. اذ توقفهُ على امور جمّة هي بمنزلة اغرب الأسرار. احببتُ ان اورد هنا ما سمعتهُ منهم بلسانهم الرومي. وهو لسان العالم منهم والامي. وقد وُفّقت الى تلقّفهِ بسرعةٍ لسهولتهِ وعذوبتهِ وسلاسة الفاظهِ. ومنهم من يُحسن اللغـة الجرمقانية . وهي اللغة المعروفة ايضاً باسم السوريانيـة . وهي من اول لغات الخلق (242) والبعض يسمونها اللغة الأرْمَانِيَّة

واذ قد افصحتُ عن مورد علمي. ومصدر فهمي اقول: روى لي احدهم قال: ان اصلنا يرتقي صُعُدًا الى الخضر عليهِ السلام وان اصل اقامتنا هو الموطن الذي اقام فيه مدّة طويلة امامنا الاعظم. نبيُّنا صلعم. المذكور بألسنة جميع الامم. يعني على جبل الكرمل في كهفٍ هناك يُزار. ومن تلك المغارة او من ذلك الجبـل انتشرنا انتشار الجراد. في كل صقع ووادٍ. وفي كل ربع وناد. وذلك اننا لما كثرنا ظعن بعض اجدادنا الاقدمين. متخيّرين الامكنة المجاورة للمياه العَذْبة او لمياه المعين. لاحتياجهم اليها في كل حين. ولذا تراانا مبثوثين بين العباد. بث الجراد. في جميع هذه البلاد. طولًا وعرضاً شرقاً وغرباً في كل سهل وجبل ووادٍ. ومن المواطن العزيزة علينا . والمكرّمة بيننا. موطن لم يغادرهُ اصحابنا البتة وهي مُوَيْهةٌ تعرف بعين الخضر تبضُّ الماء بضًّا واقعة في غربي الجبل الميسون والبعض يسمونها « عين الياس »

وقد شاهدت بنفسي مشاهدة عيان صوامع وعرازيل وكهوفاً على الجبـل ونواحيهِ

بل وفي جميع الديار المجاورة لا يسكنها كلها اقوام قوّام وصلحاء صوّام يشهد لهم بالقربات والطاعات غير ان طائفة من هذه المساكن قد اخربها اعداؤهم وقوّضوها وهم نصارى ايضاً · بيد انهم يرجعون الى فرقة تناوبهم في كل امر وكأني سمعتهم (١ يسمونهم الارارسة او الاريسة او الاريسية او اسماً آخر يكاد يكون احد هذه الاسماء · والجانب الآخر دمّره بعض جهلاء العرب او غزاة (243) اهل البادية من اهل العيث والعبث · الّا ان كثيرًا منها لا يزال قائماً عامراً آهلاً بالوُفّاد والعُبّاد · وهم اناس من افقر خلق الله لا يملكون شيئاً سوى ما عليهم من الثياب الأسمال الرثة · ودأبهم ذكر الله عزّ وجلّ · طاوين ايامهم في الصوم والحُوى مواصلين الصلاة بالصلاة آناء الليل واطراف النهار · قوم هُجّد لا يجعون يتناوبون تسبيح رب الكون وسيماؤهم على وجوههم يستشعرون المسوح بألوانها الاصلية ولا يصبغونها بشيء من الاصباغ الصناعية · واغلب ما يتخذون تلك المسوح من شعر المعز او من وبر الابل على هيئة دُرّاعة · ويقوم من تلك الدراعة قبعٌ يغطون به رؤوسهم في اوقات الصلاة وآناء الدعاء · والدراعة ايدٍ رلسة فضفاضة تشبه فم القربة او فم الراوية · ويشدّون على اوساطهم مناطق يقطعونها من جلود الدواب · وفي ايام الشتاء وايام المناسك والمشاعر التي يقيمونها جماعاتٍ جماعاتٍ وزرافات وزرافات وذلك بموجب السنن القديمة التي تلقّوها عمّن تقدّم منهم من آبائهم وشيوخهم يتدثرون برداء يتخذونهُ اما من جلد المعز والغنم بشعره واما من صوف خشن يشبه كل الشبه برودنا اليمانية · ولهم يوم يجتمعون فيه من كل حدب وصوب وصب بمنزلة يوم العيد عندهم او يوم الحجّ الاعظم فيأتون مغارة مجاورة لصهوة الجبل الميمون وهناك يسجدون ويُصلّون ويُدَمدِمون · وقد سمعتُ من يقول ان الخضر كان قد اختلى سابقًا في هذه المغارة واختفى فيها ايام شدّد عليه آحاب وعزابل (٢ من اهل الجور والعيث والفساد

(244) واما طعامهم فهم لا يأكلون شيئاً من ذوات الحياة يعني انهم لا يأكلون لحم حيوان او طائر او سمكة او دابّة برّيّة كانت او بحريّة ما خلا الجراد اذا وقع في ايديهم · وانما اكلهم ما تخرجهُ الارض التي يحرثونها من الحشائش والانبتة

١) يريد اهل البدع والمرطقات
٢) يريد ايزابل امرأة آحاب

واحرار البقول واثمار الاشجار وخبز الشعير وربما اكلوا خبز البرّ ايضاً. وهم لا يتزوجون بل يجرون مجرى الخضر الياس واليسع خليفتهِ ويوحنا الحصور عليهم الصلاة والسلام ويشون معاشهم . وفيهم طائفة لهم نساء الّا انهم لا يقربونهنّ اذ يعتزلونهنّ عند تنسكهم وهم في الاغلب حفاة صيف شتاء . ومنهم من يتنعل النعال . وكلهم لا يشربون مسكراً بل الماء القراح الجاري . ومنهم من لا يذوق لماظة ولا ينبون نبة الّا مرّة واحدة في اليوم . وربّما فعلوا ذلك كل يومين او كل ثلاثة ايام . وكل منهم يجري في امر الصلاة والصوم واليقظة والنوم والاكل والشراب الى ما ضارع هذه الابواب على طريقة توافق عمرهُ وبنيتهُ ومزاجهُ ورغبتهُ في الامعان في الزهد الاقصى على ما يقضي بهِ احد زعمائهم الشيوخ المتنسكين . ولم أرَ جماعة منهم تجري كلها على طريقةٍ واحدة او نسقٍ واحد

وهم يُرسلون لُحَمهم ارسالاً . بل يعفونها اعفاء . واذا فاضت وفرتهم جزّوها جزّاً او أحفوها احفاء او عقصوها عقصاً من ورائهم كلٌّ على ما يُحبّ وتشتهيهِ نفسهُ ويشير عليهِ دليلهُ . ولم ارَ فيهم احداً قد مرّ عليهِ الموسى او غير المقصّين . وقد سمعت ممّن يساكنهم ويتردّد اليهم انهم كانوا في الاصل جماعاتٍ وطوائف مختلفة تجمعوا من صفوة كل فرقةٍ صالحةٍ من فِرق قوم اسرئيل الناجية . وذلك ان اليهود لعنهم الله تعالى واخزاهم لمّا (245) اخذوا يبتعدون عنهُ عزّ وجلّ في عهد الخضر عليهِ السلام رأى فريق منهم ان يعتزلوا عوامّهم الذين ضلّوا سواء السبيل هائمين على وجوههم في كل وادٍ فتاموا باثنين عنهم متأثرين النبي العظيم صلى الله عليهِ وسلّم مصلين صائمين متكفين متعبّدين متنسكين متألهين متيمين مناسك الدين المبين يعني الدين الحنيف دين ابرهيم الخليل صلعم . ذلك الدين الذي لم يبقَ على سننهِ في ذلك العهد الّا الخضر عليهِ السلام وبعض من اتّبع الحقّ والهدى ولم يحِدْ عن سواء السبيل فورد موارد الرّدى

ثم لمّا تمادى بهم الزمان وتعاقب عليهم الملوان اختلف بعضهم عن بعضٍ في كيفية تأدية شعائر الدين فاقتسموا طوائف . ثم تناقص عدد اصحاب بعض هذه الفرق والشعب تناقصاً اضعفهم شيئاً بعد شيء حتى الجأهم الى ان عادوا فتآخوا وتضامّوا ما بينهم وقد بقي مع ذلك يختلف بعضهم عن بعض في امور عارضة عرضية ليست ذات

شانٍ في امر جوهر الدين . ومن غريب امرهم انهم كلهم يزعمون ان الخضر عليه السلام رأسهم وامامهم وسيدهم وزعيمهم . ولهذا كانوا يسمون انفسهم في بدء امرهم « بني الخضر » كما تقول نحن « بني طيء وبني تغلب وبني بكر »

ثم انضمَّ اليهم بعد ردح من الدهر قوم آخرون أصحاب فضل ظاهر بين ظهرانيْ قومهم اسمهم « الرحابيّون او الرُحّاب او الرُحبان » فصُحّفت الكلمة بصورة « رهّاب ورهبان »(١) . وهؤلاء كانوا يقيمون في ضواحي القرى (246) وبعض الجبال وقلما . فزال عن الأولين اسم « بني الخضر » لان شهرة هؤلاء ابتلعت شهرة اولئك فعرفوا كلهم بالاسم الثاني لاشتهار أمر الآخرين بفضايلهم وفضيلتهم بين الناس اجمعين

ثم ظهر في مُدُن بني اسرئيل قوم آخرون يُعرفون « بالأساة او الأسائية » ولعلهم سُمُّوا بهذا الاسم لان بعض المرضى والزمنى كانت تختلف اليهم فيصلّون على رؤوسهم او يقرأون عليهم بعض سُور التورية وآياتها فيزول عنهم الداء باذنه تعالى . وذكر لي بعض العارفين باحوالهم ممّن اثق بروايته أنهم يُسمَّون في بعض ديار بني اسرئيل باسم « الحيدة » يعني الطائفة المحمودة لان كثيرين من الناس يحمدونهم على طريقتهم هذه النسكية ولا يجودون بانفسهم لتأثرهم

ومن الفرق المنضمّة الى ما تقدّم ذكرهُ « طائفة المغتسلة او المستحمّة » وهم اقوام يقيمون على الانهار والمياه الجارية يكثرون من الاستحمام والاغتسال يقيناً منهم ان الوضوء للاعضاء الخارجة يدفع الى المحافظة على النظافة الباطنة وهي لها بمنزلة الاشارة او الذكرى

وهذه الفرق المختلفة لمّا تضامّت وتناصرت اتحدت فاصبحت فرقةً واحدةً عظيمة النفوذ في آل اسرئيل بل هائلةً وكانت تكره كل الكراهية بل تناصب كل المناصبة فرقتين اخريين وهما فرقة واحدة من جهة محاربتها اضرتهما اسم احداها « الفرقة الصدوقة » واسم الثانية « الفرقة الكذوبة » وهي الفرقة التي يسمّي اصحابُها انفسهم « الفرقة الفريزة » يعني المفرَزة كانهم قد افرزوا انفسهم عن سائر الناس وسوادهم واعتزلوهم كبرًا منهم وخيلاء . ولهذا وقعت منافرة بين هاتين الطائفتين

---

(١) يشتقُّ اللاهوتيّون اسم الرهبان من الرهبة اي خوف الله ولعلَّ هذا الاشتقاق اصحّ واصدق

المتعاديتين بين الجماعة القيّمة وهي الطائفة الاولى القويمة الناجية (247) وبين الجماعة الحائدة الضالّة الهالكة وهي الطائفة الثانية فظعن كثير من اصحاب الحقّ المبين الى الديار المصريّة تخلّصاً من اعدائهم وحبّاً بالمحافظة على اصول دينهم فنشروا ثمّ آراءهم وفلسفتهم الدينية فتبعهم قومٌ لا يُحصى عددهم من اليهود وغير اليهود. ولمّا قتل الحواريّون النصرانيّة اليها كان هؤلاء الناس من اوّل الذين دانوا بها. لان هذا الدين كان موافقاً لآرائهم ومنشطاً لها. ولهذا كان اول ظهور الزُهد والنسك في النصرانية في تلك الرُبوع ثم انتشر منها الى سائر الاقطار النصرانيّة مبتدئاً في عودته بديار الشام على ايدي هؤلاء المتألهين الزُهّاد المصريين محلًّا وموطناً. والروم لغةً وامةً. واليهود اصلًا ومنشأً. كل ذلك من باب الاغلبية والّا فكان فيهم غير اليهود. وعلى هذا الوجه اصلح الزُهد ما افسدهُ حبُّ الدنيا ولهوها. اذ كلما ادخل الحرصُ على الدنيا شيئاً من الشقاق والشرّ والفساد طردهُ التُقى وجاء بالوفاق والبرّ والرشاد. حتى انهُ لم ينقطع الصلاح والخير من آل اسرئيل ابدًا. ومن ثمّ لم يهمل الله عزّ وجلّ أمّتهُ المصطفاة من بين جميع الامم بل وقاها من شَرَك الشِرك وضرّهِ مع انها كانت في اجل موضع من مواضعهِ

الى ان جاء عيسى عم فدفع القلوب الى اتمّ الزُهد وأكملهِ وحبّبهُ الى الجميع لانهُ ما كان يرى في هذا الامر صعوبةً او وعورةً اذ انهُ قد اعتاد مشاهدة النسّاك على جبل الكرمل وفي جوار الاردن حينما كان يختلف اليهم في صُبوّتهِ مع امّهِ مريم عم فكان يجدهم على جانب عظيم من الفرح والبشاشة مع ما كانوا عليهِ من شظف العيش وخشونتهِ وقلة عددهم بعد مهاجرة اخوانهم ولم يرَ مثل هذا السرور في فرقتي الصدوقة والكذوبة. فاذا علمت هذا ثبت لك ان النصرانية كانت يومئذٍ من اجلّ الاديان اذ دعت الجميع الى الزهد في الدنيا واحتقار ما فيها من الطيّبات الزائلات والسعي وراء الطيّبات الباقيات الخالدات. ولهذا انشأت في قلوب اصحابها قوّةً قذفتهم (248) الى أبعدِ مرمًى من الفضيلة فقام فيهم عددٌ لا يُحصى من اعظم الرهبان والنسّاك والمتألهين الذين يعيش بينهم الأبدال المقرّبون من ذي العزّ والجلال فلولا ما فيها من هؤلاء العُبّاد لحلّ في دين عيسى عم شرُّ الفساد

لا جرم انّ الفِرق والبدَع ظهرت فيهِ لكنّها لم تضرّهُ ولم تؤذهِ بل قوّةً زادتهُ

واولته عظمةً وأمدّته منفعةً وخولته رهبةً وأيّدته فشوًّا وانتشارًا. لاسيما لانَّ من هؤلاء النسّاك من كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على اصول دينهم ولم يضنوا باجود ما عندهم وانفسه. ولم يظنّوا ان في الكون امرًا يُضاهي اجرًا مثل عند الدين وبثّه في العالمين. ومن ثم فانهم لم ينظروا ابدًا الى حُطام الدنيا وزُخرُفها ولهوها.... حفظنا الله ووفقنا الى السداد في البدء والمعاد. اللهمّ اميين. يا ارحم الراحمين. ومجيب ادعية عبيده المسترحمين

الطبّ في الحبشة

للصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

نظر عامّ

شأن الاحباش في صناعة الطب شأن كل البلاد الاولية التي لم تدخل بعد في مجرى تمدن بقيّة الامصار فيتعاطى هذا الفنّ رجال مشعوذون يلحق بهم المنجمون والبصّارون ومفتشو البخت وامثالهم اخصُّهم اهالي مدينة گوندَر وهم امهر الاطبّاء في عرف الاحباش. امّا سكّان مملكة الشوا فاطباؤهم اتكالا. وقد انتلف هؤلاء المشعوذون مداواة بعض الامراض الشائعة في هذه الانحاء كالزهري مثلًا حتى اضحى بعضهم خبيرين بالداء يعرفون مجرى هذه العاهة بكل دقّة. امّا كيفية تطبيبهم فليست من الغرابة بشيء. فلا نجدهم لاحظوا ملاحظةً ام استعملوا علاجًا خفي سرّه على غيرهم فالعرب في زمن الجاهلية كانوا ارقى في الطبابة من الاحباش في يومنا وهم اليوم يستعملون نظير العرب الدلك والحجامات والفصادة وقد زادوا في هذه السنين الاخيرة شيئًا اخذوه عن الافرنج وهو استعمال الزئبق ويودور البوتاسيوم. والحبشي وان طبيبًا يجهل معرفة تركيب جسد الانسان فان تشريح الجثث ممنوع في الحبشة كانهُ بدعة في الدين ولذلك هم يفترضون وجود بعض الاعضاء او الشريانات في الانسان بالمشابهة مع ما ماثلها في جسد الحيوان لوجه الشبه الناتج من وظيفتها فيه